غادة لبنانية

لما تصرم الشفق وخيم الغسق خرجت غادة لبنانية في احدى ليالي الربيع المقمرة الى شاطىء البحر المتوسط وخافت من طغيان الماء على اليابسة فوقفت بينهما كالمصالحة ثم سئمت الوقوف فجلست على الحصى الملساء البيضاء التي توجد عادة على الشواطىء وصوبت اشعة افكارها الرنتجانية الخارقة الاجسام غير الشفافة الى عظمة الجرم المائي المنبسط امامها الذي لا تقل مساحته من ٦٠٠ ميل عرضاً و ٢٥٠٠ ميل طولا المتوسط بين القارات الثلاث اسيا واوروبا وافريقيا (ذلك سمي بالمتوسط) رامقة بعينين سوداويتين تلك الامواج كيف يتدفق الزبد من اشداقها وتتلطم على صخور قاعة كمعاقل لرد هجماتها ثم انتقلت بالفكر لفاعيل المد والجزر الرتفع والمنحط مع القمر خصوصاً عند ما يتساوى الليل بالنهار — وتذكرت بالحركة الدائمة التي يسمى اصحاب العلم لايجادها وتوليد تيارات كهربائيتها من حركة الامواج المتواصلة وبينما هي على تلك الحال غارقة ببحر من الافكار اذ ارتفع القمر فوق الجبال الشامخة والروابي المرتفعة فجيئه الاشجار بتحريك اغانيها والنسيم بصوته الرخيم والفتاة بوجهها الصبيح فرد التحية بنظرات لطيفة حاراً وراءه ذيل الابهة والمجد والوقار طارداً من امام وجهه جيوش الظلام وحاجبا من نظرنا بعض الاجرام السماوية فاثر هذا في مخيلة غادتنا وارتبكت ارتباك الحبيبة عند زيارة المحبوب . ورفعت مجرى افكارها من الارض الى الفلك واخذت تغازل القمر مجاراة للنسيم الذي كان يغازل ويلاعب شعرها الحالك اسوة بالامواج التي كانت تداعب الحصى الصغيرة الملساء بحركة الموج السلبية والايجابية فاخذت هذه المناظر بمجامع قلبها وانتقلت بالروح جارة وراءها ذيل افكار طويل كذيل مذنب هالي « المنتظر تأثيره على الارض بهذا الشهر » ذيل معقد كذيل الضب « فهذه الغادة يا بنات جنسي كانت عاقلة ذكية تقدر الامور مقدارها ومن كانت

كهذه فهي عرضة للهموم والعذاب والتغيض العيش من اقل الاسباب « اشباح مخيفة طبعت على جلاتين مخيلتها . ولا انيس لها في خلوتها ووحدتها فتارة كانت تتعلق باحبال الامال وتارة تقطع الرجاء فيتولى عليها اليأس والفشل . ماذا كان يختلج بافكارك ايتها الفتاة وما الذي عكر كاس مخيلتك وقطب وضاح جبينك سرحي نظرك الى قبة الفلك واتبعي حركات النجوم اسوة باجدادك الفينيقيين النظري الى الثريا والميزان والى برج الحمل والثور والجدي والحوت تسلي ايتها الفادة بمحاسن الطبيعة وانظري الى المروج الباسمة في السهول الفينيقية التي يستقيم بها الربيع نحو ثلثي السنة بارتفاع لا يزيد عن ١٠٠٠ متر تقريباً عن سطح البحر .... واذ طرق اذنها صوت يدعوها فالتفتت نوعاً ولكن عادت حالاً غاصت بدون انتباه بتيارها السابق ثم بعد هنيهة اشعرت بيد وضعت على كتفها وسمعت قائلاً يقول قرصاك البرد ايتها الحبيبة ... فدعرت الابنة ونظرت الى القائل نظرة اعجاب فتكدرت ممن اقلق وحدتها وكادت تتمنى له الضرر لو لم يكن شقيقتها قالت اهلاً بشقيقتي اجلبي وشاطريني افكاري واحملي قليلاً من التأثيرات التي حملتني اياها هذه المشاهد الطبيعية نظرت الى البحر وسبرت غوره وقست عرضه وطوله فوجدته مثلاً لافات المدنية الحاضرة . جهاد مستمر ونزاع دائم والقوى يأخذ بخناق الضعيف ويبتلعه كما تبتلع الموجة الكبيرة الموجة الصغيرة بحكم الطبيعة الجائر « ناموس تنازع البقاء » ثم بنظري الى هذه الامواج وخلافها كأني بها شبيبة هذا العصر كما انها تأتي وتتحطم على هذه العاقل ولا يتعظ بعضها بعض كذلك شبان وشبات عصرنا منذ ثلاثة ارباع قرن تقريباً ترى الخلق يتحطم على الموائد الرديئة كالسلف ولا يتعظ هذا بذاك فترى كلاً منا ينادي بالاصلاح ويجاهر بانانا نسير القهقرى ونؤكد بان عوائدنا وآفات مدنيتنا تسقط بنا من حالق الى دركات العمق وتراثنا كالامواج تعاود الكرة على هذه العاقل الحصينة الصماء وتتحطم كتحطمها فحركة الموج ياشقيقتي من الهواء وحركة الشبيبة من الهوى ... ثم استانجت ياشقيقتي من سير القمر بين تلك النجوم بابهة وبعد آخذاً بمجامع القلب حسنه وجماله انه ينذر بان الجمال والابهة لا يدومان او يقول الشاعر

يبشرني الهلال بقصر عمري وافرح كلما هل الهلال

وايضاً ان القمر اذا ارتفع يتبع الناموس الطبيعي من الارتقاء درجة فدرجة حيث يبتدي هلالاً وينتهي بدراً واما نحن ايتها العزيزة فقد وثبنا على العوائد الاوروباوية دفعة واحدة غير مراعين ظروف الزمان والمكان فآل بنا ذلك الى الدمار نظراً لقلة موردنا فاصبحنا بحكم الطبيعة داخلنا عربية ومعاريفنا افرنجية وانهزام الظلام والنجوم من وجه القمر ذكرني كيف يلزم الحق من امام البطل والضعيف من وجه القوي ثم تعلمت من هبوب النسيم وصوته الرخيم ورطوبة هوائه ونعومة أعطافه وامتزاجه بالارواح كيف ينعش منا الابدان ويخفف عنا بعض البلايا انا اجاهر بتبكيت بعض الاقارب الذين يكونون حجر عثرة بسبيل اقاربهم وكان الاحرى بهم ان يتشبهوا بالنسيم وبلطفه وصدق نكهته ويتجانبوا التمليق والتدليس مواجهة والقدح والذم غيبةً فاجابت الشقيقة نعم نعم لقد عرفنا الداء ولكن من منا يعرف الدواء لتقاص ظل وطأة هذه العوائد من بيننا وكيف التوصل الى ضالتنا المفقودة ولما كان البيت قريباً من الشاطئ سمعت الغادتان والدتهما تدعوهما للعشاء فشقّ على القمر فرقتهما وعلى النسيم عدم القيام بخدمتهما وعلى النجوم سرقة النظر الى شقيقات بدرها . الى الليلة القادمة ايها الجنس اللطيف والحسن

« فاجابت هذه ان الدواء عند صاحب الحسناء فهو مؤلف لكتاب آفات المدنية وطبيب بارع يوصف العلاجات المادية والادبية

البترون ليلى طربيه

كلمة في التمدن

ايها التمدن لك في قاموس الانسانية اجمل صفحة واشرف تفسير لم يفهمه بعض الناس فاخذوا يتلاعبون بادابك كما يشاؤن ويريدون . انت تتمشى جنباً لجنب مع الانسانية الحقة وهم يسيرون مع الاهواء ويرتكبون باسمك اعظم